

الشفاعة
في القرآن الكريم
ألفاظها، أنواعها، أهدافها

د/ حمد بن صالح اليحيى
الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإن الشفاعة بأنواعها من الموضوعات المهمة التي برزت في القرآن الكريم، وتعددت الآيات التي تناولتها بين شفاعة أخروية بصور عديدة، وشفاعة دنيوية حسنة أو سيئة، وقد جاءت السنة النبوية بنماذج من النوعين لتفسر كثيرا من تلك الآيات المتعلقة بالشفاعة حيث بينت السنة ما أجمل في القرآن أو وضحت مشكله، كما قام المفسرون من علماء الأمة بتتبع تلك الآيات وبيان وجوها في التفسير لتبيين ما أنزل الله تعالى لعباده.

وقد لاحظت أن آيات الشفاعة في القرآن الكريم جاءت غالبها متحدثا عن الشفاعة الأخروية، وإن كانت لم تهمل الشفاعة الدنيوية بنوعها، وجاءت السنة لتبين صورها منها، كما لاحظت أن علماء الأمة ركزوا جهودهم على بيان الشفاعة الأخروية وأنواعها، ولكنهم قلما تحدثوا عن الشفاعة الدنيوية وصورها، ومن هنا أردت أن أجمع شتات الموضوع وأبين مجمله، ونظرة القرآن الشاملة له من خلال هذا البحث.

الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد عني كثير من العلماء قديما وحديثا بالشفاعة الأخروية كناحية عقدية، وأوسعوها بحثا وبيانا، ولكن قل التطرق للشفاعة الدنيوية من ناحية، أو الجمع بين النوعين من الشفاعة من ناحية ثانية.

ويصعب حصر الكتب والبحوث التي تناولت موضوع الشفاعة الأخروية، لكثرة تناولها من علماء العقيدة بين إثبات لأنواعها، واختلاف في غيرها، ولكن بحثي يختلف في جمعه بين كل تلك الأنواع، وبيان موقف القرآن منها، فقد أردت أن يكون البحث مبينا للفظ الشفاعة بكل صيغه وأنواعه التي وردت في القرآن، وتفسيرها في السنة النبوية بما جاء عن النبي ﷺ من أحاديث عن الشفاعة بأنواعها المختلفة، وكذا بيان ما قاله أهل التفسير من العلماء المتقدمين والمحدثين في آياتها.

خطة البحث:

لقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف الشفاعة.
المبحث الثاني: ألفاظ الشفاعة في القرآن الكريم
المبحث الثالث: تفسير آيات الشفاعة.
المبحث الرابع: أنواع الشفاعة في القرآن الكريم.
المبحث الخامس: أهداف الشفاعة في القرآن الكريم.
وبعد فإنني أدعو الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع،
ودراسته دراسة متكاملة ووافية على ضوء آيات القرآن وتفسيرها عند
أهل التفسير من الأئمة الأعلام، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء
السبيل.

المبحث الأول تعريف الشفاعة

الشفاعة في اللغة:

اسم مصدر من الفعل شفع، والشفع في اللغة يأتي بمعنيين:

الأول: يأتي بمعنا الزوج، خلاف الوتر، يقال: كانَ وَتْرًا فَشَفَعْتُهُ شَفْعًا، أي: صَيَّرْتَهُ زَوْجًا؛ والشفيع من الأعداد: ما كان زوجاً، يقال: كان وَتْرًا فَشَفَعْتُهُ بآخر.

وناقة شافعٌ: في بطنها ولد يتبعها^(١).

الثاني: يأتي بمعنى الشفاعة في الخير والشر، أو الإعانة للمرء أو عليه، ومن ذلك قول النابغة الذبياني:

أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبِطٌ لِي بَغْضَةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلُ ذَلِكَ شَافِعٌ^(٢)

أي: مثل ذلك معين عليّ.

وشفع لفلان يشفع شفاعةً، أي أعانه، وتشفع: طلب الشفاعة، والشفيع: هو فاعل الشفاعة، والجمع شفعاء، واستشفعه طأب منه الشفاعة، ومنه قوله تعالى ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾^(٣).

والمُشَفَّعُ: الذي يُقْبَلُ الشفاعة، والمُشَفَّعُ: الذي تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ^(٤).

والمعنيان السابقان يكمل كل واحد منهما الآخر وبنبني عليه،

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١٨٠/٨، المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٣، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٥/٢، مختار الصحاح ص ١٤٤.

(٢) ينظر: ديوان النابغة الذبياني ص ٧٧.

(٣) سورة النساء من الآية رقم ٨٥.

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١٨٠/٨، المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٣، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٥/٢.

فالشفاعة تعني الإعانة، والإعانة لا تكون إلا بانضمام واحد إلى الآخر، فسؤال الشفيع يصير شفعا لسؤال المشفوع له.

وأما في الاصطلاح:

فإن الشفاعة كمصطلح عام لم يرد له في كتب أهل العلم- تعريف يشمل كل أنواعه وصوره، ومعظم التعريفات التي وردت في كتب العلماء- قديما وحديثا- اهتمت بتعريف الشفاعة الأخروية أو الشفاعة الدنيوية فقط، دون أن يذكروا تعريفا للمصطلح بصفة عامة، بل إن علماء السلف حين ذكروا الشفاعة الأخروية نفسها اكتفوا بذكر أنواعها وصورها وأدلة ثبوتها، دون أن يعرجوا على تعريفها.

ومن هنا كان تعريف الشفاعة بصورة شاملة غير وارد في الكتب التي تحدثت عنها، ولا في تفسير العلماء لألفاظها، حيث اكتفوا بتفسير الآيات وبيان الأدلة على ثبوتها دون وضع تعريف عام لها.

ولما كان الأمر كذلك لم يكن هناك بد من وضع تعريف يشمل كل أنواع الشفاعة، وإن كان ذلك أمرا يمثل صعوبة للباحث، والتعريف الذي يشمل الأنواع هو القول بأنها: طلب خير أو دفع شر عن المشفوع له بإذن المشفوع عنده أو بدون إذنه.

وأردت بكلمة "طلب" بيان أن الشفيع يطلب أمرا لمن يشفع لها، سواء كان الطلب تبرعا منه، أو كان برجاء من المشفوع له.

وكلمة "الخير" تعني أن الشفيع يطلب تحقيق أمر طيب للمشفوع له، بأن يجلب له نفعاً يبتغيه، أو خيرا يريده.

وكلمة "دفع شر" تبين الشق الثاني من الشفاعة، وهي دفع الشر عن المشفوع له.

"بإذن المشفوع عنده" ليبين أنها خاصة بالشفاعة الأخروية؛ لأنها لا تتم إلا برضا المشفوع عنده وهو الله تعالى.

"أو بدون إذنه" ليبين صورة من صور الشفاعة الدنيوية التي تتم ولو بدون إذن المشفوع عنده، وبدون إذن المشفوع له ذاته.

المبحث الثاني

ألفاظ الشفاعة في القرآن الكريم

بتتبع لفظ الشفاعة ومشتقاته في القرآن الكريم نجد أنه ورد في آيات عديدة مكية ومدنية، وبصيغ مختلفة، وفي مواقف متعددة على النحو التالي:

١- ورد لفظ الشفاعة نفسه، وقد جاء في مواضع متعددة لأنواع مختلفة من الشفاعة، حيث ورد منكراً كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٢)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣)

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كَفْلٌ مِنْهَا﴾^(٤)

وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٥)

وورد مضافاً كما في قوله ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِدُونَ﴾^(٦)

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٧)

ومن الملاحظ في هذه الآيات أنها وردت في أنواع من الشفاعة الأخرى، وأخرى في الشفاعة الدنيوية الحسنة والسيئة، كما أنها وردت في سور مدنية، وهي البقرة والنساء، ووردت في سورة مكية وهي سورة المدثر، والآيات عدا آية سورة النساء جاءت لنفي الشفاعة عن اليهود وغيرهم من المشركين يوم القيامة، فقد كان اليهود وغيرهم يؤملون في شفاعة الأنبياء والآباء لهم، فنفي الله عنهم ذلك، والنفي هنا

(١) سورة البقرة الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٤ .

(٤) سورة النساء الآية ٨٥ .

(٥) سورة المدثر الآية ٤٨ .

(٦) سورة يس الآية ٢٣ .

(٧) سورة النجم الآية ٢٦ .

ليس لمطلق وقوع الشفاعة وإنما لنفي وقوع هذا النوع منها^(١). وكذا ورد لفظ الشفاعة معرفا بالألف واللام في آيات عديدة، وهي: قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤). وقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

ويلاحظ أن هذا اللفظ ورد في الشفاعة الأخروية فقط، وكلها جاءت مثبتة للشفاعة، سواء أكانت لأحد من الخلق بإذنه جل وعلا، أو إثباتها له سبحانه ليأذن بها لمن يشاء من عباده.

وجاءت الشفاعة بلفظ الفعل المضارع يشفع في مواضع، وهي قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٧).

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦٢/١، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٨٣/١، مدارك التنزيل للنسفي ٨٧/١، تفسير المنار ١٤/٣.

(٢) سورة مريم الآية ٨٧.

(٣) سورة طه الآية ١٠٩.

(٤) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٤٤.

(٦) سورة الزخرف الآية ٨٦.

(٧) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(٨) سورة النساء الآية ٨٥.

ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَسَنَاتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١﴾.

وكانت هنا شاملة لجميع أنواع الشفاعة الأخروية والدينيوية، والشفاعة الحسنة والسيئة، كما كانت في آيات مدنية وأخرى مكية.

- وجاءت بلفظ الشفيع معرفا بالأف واللام أو منكرافي مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (٢).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ (٥).

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مَنَحْمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٦).

ويلاحظ أن الآيات فيها وردت في سور مكية ومدنية، وجاءت لنفي وجود شفيع أو وقوع الشفاعة لأحد إلا بإذن الله تعالى.

وجاءت الشفاعة بلفظ الجمع للشفعاء، وذلك في مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنعام الآية ٥١.

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٠.

(٤) سورة يونس الآية ٣.

(٥) سورة السجدة الآية ٤.

(٦) سورة غافر الآية ١٨.

فَدَّ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢).

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٣).

وقوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

ومما يلفت النظر في وقت نزول الآيات القرآنية في موضوع الشفاعة أنها تنوعت بين الشفاعة الأخروية والدينيوية، واختصت السور المكية بالشفاعة الأخروية فقط، ولم تذكر الشفاعة الدينيوية، بخلاف السور المدنية التي ذكرت النوعين من الشفاعة.

وإنما كان ذلك في الآيات مكية، لأن هذه الآيات معنية بالعقيدة قبل بيان الحلال والحرام، وتفصيل أمور التشريع، كما يغلب على الآيات المكية المقصد الرئيسي فيها وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، والحديث عن الآخرة وما يتبعها من البعث والجزاء، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، إضافة إلى الحديث عنفضائل الأخلاق التي يقوم عليها كيان المجتمع، والتبكييت على أصحابالأخلاق السيئة، والوعيد على الجرائم التي يرتكبها المشركون من شرك بالله، ووأد للبنات، وسفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وأكل لأموال اليتامى والناس بالباطل، وغير ذلك من مثالبهم (٥).

(١) سورة الأعراف الآية ٥٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(٣) سورة الروم الآية ١٣.

(٤) سورة الزمر الآية ٤٣.

(٥) ينظر: فنون الأفنان لابن الجوزي ص ٣٣٩، بيان المعاني للعاني ص ٢٢،

وقد اهتم القرآن المكي كثيرا بالشفاعة والشفعاء؛ لأن المشركين وعبدة الأصنام مع سوء صنيعهم وفساد أخلاقهم كانوا يظنون أن الأصنام ستكون شفيعا لهم إن كان ثم عذاب من عند الله تعالى، ومن أجل هذا يتخذونها آلهة من دون الله، ويعبدها بعضهم لتقريبهم إلى الله زلفى، فكان في القرآن بيان لهذه الحالة من الشفاعة والشفعاء^(١).

المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور/ محمد أبو شهبة ص ٢٢٧، موسوعة علوم القرآن للدكتور/ عبد القادر منصور ص ٥٥، المنار في علوم القرآن للدكتور محمد علي الحسن ص ٩٦، المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع ص ٥٨ وما بعدها، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم للدكتور/ موسى إبراهيم الإبراهيم ص ٣٩.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣١/١، الكشف والبيان للثعلبي ١٩٠/١، إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل حسن عباس ٣٧٥/١، دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ص ١٣٤ وما بعدها.

المبحث الثالث تفسير آيات الشفاعة

إن تفسير آيات الشفاعة في القرآن متقارب حتى يكاد يكون واحداً في كثير من كتب السلف، حيث تشير معظم الآيات إلى الشفاعة في الآخرة، ونفيها عن الكافرين بالله عز وجل، فلا شفاعة لهم من معبود غير الله تعالى كما يدعون، ولا من نبي، ولا محبوب، ولا قريب، وبيان أن من لا يأذن الله تعالى له بالشفاعة فلا شفاعة له، ومن ثم لن تكون هناك شفاعة للأوثان التي يعبدونها من دون الله عز وجل، ويتقربون بعبادتها إلى الله في زعمهم، كما جاءت بعض الآيات مخاطبة لليهود والنصارى الظانين بالله ظن السوء، والذين قالوا إن آباءهم وأنبياءهم سيشفعون لهم عند الله تعالى يوم القيامة، وسوف أورد هنا نماذج من ألفاظ الشفاعة وتفسيرها، فيما يلي:

قوله سبحانه: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١).
وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٢).

قال المفسرون فيهما: إن نص الآيتين وسياقهما يبين المقصود منهما، وهي الشفاعة في الآخرة، ففي الآيتين تحذير من الله تعالى لعباده أن تتألم عقوبته في اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا تقبل فيه لكافر شفاعة^(٣)، ولذا أجمع المفسرون على أن المراد بالنفس في الآيتين النفس الكافرة لا كل نفس^(٤).

وذكر بعض المفسرين^(٥) أن الله -عز وجل- خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيغيرها، لأنهم كانوا من يهود بني إسرائيل، وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباءه، وأولاد أنبيائه، وسيشفع لنا عنده آباؤنا،

(١) سورة البقرة الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٣.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣١/١، الكشف والبيان للثعلبي ١٩٠/١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٧٩/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٠/١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ص ٥١، جامع البيان في تفسير القرآن للإبجي ٤٧/١.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣٢/١، معاني القرآن للزجاج ١٢٨/١، روح المعاني للأوسى ٢٥١/١.

فأخبرهم الله - سبحانه - أنه لا تجزي نفس عن نفس شيئاً يوم القيامة، ولا يقبل منها شفاعاة أحد حتى يستوفي لكل ذي حق حقه.

- وأما قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

فقد قال الطبري في تفسيره: "يعني ادخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم، بالنفقة منها في سبيل الله، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها، وابتاعوا بها ما عنده مما أعده لأوليائه من الكرامة، بتقديم ذلك لأنفسكم، ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه، بما ندبتكم إليه، وأمرتكم به من النفقة من أموالكم" من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه"، يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه، يقول: لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه- بالنفقة من أموالكم التي رزقتكموها- بما أمرتكم به، أو ندبتكم إليه في الدنيا قادرين، لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب، لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب، لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية ... وأخبرهم أيضا أنهم يومئذ= مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم، والعمل بأبدانهم، وعدمهم النصرء من الخلان، والظهراء من الإخوان (٤) لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ" (٢).

- وأما قوله ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَبًا﴾ (٣).

فهذه الآية تتحدث عن الشفاعاة بنوعها الأخروية والدينوية، وإن كان لفظها يدل على حديثها عن الشفاعاة الدينوية فقط بنوعها الحسنة والسيئة، والمراد بالشفاعة هنا المعاونة على أمر من الأمور، والكفل في الآية يعني الحظ والنصيب، فكل يحصد من شفاعته مثل ما نوى وفعل، فإن كانت خيرا كان له الخير، وإن كانت شرا ارتد عليه شرها، وكان عليه وزرها (٤).

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٤.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨٢/٥ وما بعدها.

(٤) ينظر: تفسير التستري ص ٥٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

وقد اختلف أهل التأويل في هذه الآية، فقال بعضهم، ومنهم مجاهد، والحسن، وابن زيد، وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليجتر فله كفل^(١).

وذكر آخرون: أن الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي، فمن شفع شفاعاً حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم.

وقيل: يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، والسيئة الدعاء عليهم^(٢).

وذكر بعضهم: أن المعنى من يكن شفيحاً لصاحبه في الجهاد، يكن له نصيبه من الأجر، ومن يكن شفيحاً لآخر في باطل، يكن له نصيبه من الوزر، وعن الحسن أيضاً الحسنة ما يجوز في الدين، والسيئة ما لا يجوز فيه^(٣).

ولكن الغالب على ما مضى أن هذه الآية خاصة بالشفاعة الدنيوية بنوعها.

- وأما قوله ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٤).
ففيه دلالة على ثبوت الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له، فقد بين سبحانه في هذه الآية أنه ما يشفع لهم الذين شفّعهم الله في أهل الذنوب من أهل

للعلامة السعدي ١١٦/٢، الضوء المنير على التفسير ٢٦٤/٢.
(١) ينظر: تفسير ابن المنذر ٨١٢/٢، تفسير ابن أبي حاتم ١٠١٨/٣، بحر العلوم للسمرقندي ٣٢٣/١، الهداية إلى بلوغ النهاية لابن حموش القيرواني ١٤٠٢/٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٥، تفسير القرآن العظيم ٥٣٢/١، تفسير الجلالين ص ١١٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٥، جامع البيان في تفسير القرآن ٥٨٠/٨، روح المعاني ٩٨/٥، وهو ما اختاره الطبري، ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ١٨٦/٥.

(٤) سورة المدثر الآية رقم ٤٨.

التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه في بعض (١).

- وأما قوله تعالى: ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٣).

ففي هاتين الآيتين نفى الله -تعالى- أن تكون هناك شفاعاة لأحد لم يأذن له -تعالى- أو يرضى بشفاعته، فالآلهة التي عبدوها من دون الله لا تقدر أن تشفع لهم، فتكشف عنهم الضر الذي وقع بهم، ثم استثنى فقال إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من بني آدم فيشفع له (٤).

- وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٦).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٧).

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٩).

وقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١٠).

وتفسير هذه الآيات ينطبق على سابقها من إثبات الشفاعاة لمن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٢/٢٣.

(٢) سورة يس الآية رقم ٢٣.

(٣) سورة النجم الآية رقم ٢٦.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٥٧٧/٣، بحر العلوم ١٢١/٣، ٣٦٢، الهداية إلى بلوغ النهاية ٦٠٢١/٩، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٠٢/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٥، تفسير القرآن العظيم ٤٥٤/٦.

(٥) سورة مريم الآية ٨٧.

(٦) سورة طه الآية ١٠٩.

(٧) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٨) سورة الزمر الآية ٤٤.

(٩) سورة الزخرف الآية ٨٦.

(١٠) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

يرضاه الله تعالى، وأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه جل وعلا، ولمن رضي له قولاً.

- وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿وَذَكَرِيهَا نَ تُبْسَلِ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٦).

فهذه الآيات بينت أنه لا شافع إلا بإذن الله تعالى، وأن الشفعاء جميعاً لا وجود لهم بدون إذنه ورضاه، فينبغي للبشر أن يفردوا له الألوهية، ويخلصوا له العبادة، ويخلصوا مادونه من الأنداد والآلهة^(٧)،

(١) سورة الأنعام الآية ٥١.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧٠.

(٣) سورة يونس الآية ٣.

(٤) سورة السجدة الآية ٤.

(٥) سورة غافر الآية ١٨.

(٦) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦٦/٢٠، بحر العلوم ٣٣/٣، المحرر الوجيز ٢٩٤/٢، مفاتيح الغيب للرازي ٥٠٤/٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣١/٦، أنوار التنزيل للبيضاوي ١٠٤/٣، إرشاد العقل السليم لأبي

ولذا يقول الشافعي: "واستنبطت البارحة آيتين، فما أشتهي باستنباطهما الدنيا وما فيها، الأولى: قول الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، وفي كتاب الله هذا كثير، والثانية: قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الآية، فَتَعَطَّلُ الشِّفْعَاءُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (١).

وجاء في زاد المسير: قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فيه قولان، أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس، قال الزجاج: لم يجز للشفيع ذكر قبل هذا، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا، والثاني: أن المعنى: لاثاني معه، مأخوذ من الشفع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء" (٢).

ويقول ابن تيمية: "ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك، وهو: أن أحدا لا يعبد إلا الله، ولا يدعو غيره، ولا يسأل غيره، ولا يتوكل على غيره، لا فيشفاعة، ولا غيرها، فليس له أن يتوكل على أحد فيأني رزقه، وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب" (٣).

- وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفْعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

فهذه الآية والتي قبلها تأتي في إطار الحديث عن الشفاعة في الآخرة أيضا، وحسرة الكافرين على ما سلف منهم، والاستفهام في الآية الأخيرة يدل على الحسرة والتفجع منهم، حيث يتساءلون عن شفيع يشفع لهم، ليرفع عنهم الضرر ويخلصهم مما وقعوا فيه من العذاب، ولا

السعود ١١٩/٤.

(١) تفسير الشافعي ص ٤٢٤.

(٢) ٣١٦/٢.

(٣) الإيمان لابن تيمية ص ٦٧.

(٤) سورة الروم الآية ١٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٤٣.

مجيب لهم يومذاك^(١).

فهم يتساءلون عند حلول سخط الله بهم، وورودهم أليم عذابه، ومعابنتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم به: هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا، فنتجينا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء فعالنا في الدنيا؟، أو نرد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضيه ويُعَبِّئُه من أنفسنا؟، وإنما قالوا هذا القول؛ لأنهم عهدوا في الدنيا شفاعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خلة لهم فيه، ولا شفاعاة، فيذكروهم الله - سبحانه - ردًا على وهمهم هذا بأنهم قد خسروا أنفسهم، وغبنوها حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل^(٢).

ولو تتبعنا آيات الشفاعاة في القرآن الكريم واحدة تلو الأخرى لوجدنا تفسيرها متقاربا، فهي في غالبها تتحدث عن نفي الشفاعاة عن الكفرة الفجرة، وإثباتها لمن يأذن الله تعالى له من المؤمنين، وأن الشفاعاة منها أخروي، وهو الغالب، ومنها شفاعاة دنيوية بأنواعها، وهو ما أعرج على بيانه تفصيلا ببيان أنواع الشفاعاة في المبحث التالي.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٧، تفسير القرآن العظيم ٢٢١/٢، تفسير الكريم الرحمن ٣٧/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٠٥/٨، تفسير الجلالين ص ٢٠١.

المبحث الرابع

أنواع الشفاعة في القرآن الكريم

من الآيات السابقة، ومن الأحاديث النبوية، وما ذكره السلف في تفسير الشفاعة وبيان ما يتعلق بها يظهر أن الشفاعة نوعان، أخروية، ودنيوية، وسوف ألقى الضوء على كل منهما بإيجاز فيما يلي:

الشفاعة الأخروية:

وقد عرفت بأكثر من تعريف، فعرفها ابن الأثير بأنها: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم^(١).

ولكن هذا التعريف، وإن كان شاملاً للشفاعة الأخروية والدنيوية إلا أنه غير مضطرد ولا منعكس، فقد اقتصر على نوع واحد من الشفاعة، وهو الخاص بالتجاوز عن الذنوب والجرائم، ولا يدخل فيه الشفاعة التي فيها طلب خير أو نفع للمشفوع له، كما أنه يشمل الشفاعة الدنيوية والأخروية، في حين أن المقصود بالتعريف الشفاعة الأخروية فقط.

وعرفها القاضي عبدالجبار بأنها: مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة^(٢).

وهذا التعريف لا يقتصر على الشفاعة الأخروية كذلك، بل يشملها ويشمل الشفاعة الدنيوية؛ لأنها تعني المعنى ذاته، ولكنه لا يشمل كل صور الشفاعة الأخروية من شفاعة العمل الصالح لصاحبه، كما أن المعتزلة - كما سيأتي - لا يقولون بالشفاعة لرفع الذنب فكان تعريفه مناقضاً لمذهبه، إذ كيف يقول: ليدفع عنه مضرة، وهم لا يقولون بالشفاعة في رفع الذنوب؟.

وعرفها الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بأنها: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة^(٣).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٥/٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٣٣١/١.

ويقال في هذا التعريف ما قيل في سابقه من شموله للنوعين،
فالتوسط المذكور في التعريف يشملهما، ولا يشمل شفاعة العمل الصالح
للآدمي، فليس فيها توسط.

وأرى بناءً على ما سبق أن يكون تعريف الشفاعة الأخروية: سؤال
الله -عز وجل- يوم القيامة غفران المعصية، أو رفع الدرجة المشفوع له
ممن يرضى الله شفاعته، أو حدوث الشفاعة بطريق العمل الصالح.
وقد قصدت من التعريف أن يشمل الشفاعة في التجاوز عن
الذنوب، والشفاعة في رفع الدرجة وزيادة النعيم، كما أردت من
التعريف شمول شفاعة الغير للمشفوع له، وشفاعة العمل الصالح له، مع
بيان أن الشفاعة في كل حال لا تتم إلا لمن يأذن الله ويرضى.
والشفاعة الأخروية قد أثبتها علماء الأمة المعتبرون لنبيينا محمد
ﷺ، واستدلوا على ذلك بأصرح دليلين فيها، وهما:

١- قوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(١)، فقد ذكر المفسرون أن أصحاب الأقوال^(٢) في المراد
بهذا المقام شفاعته ﷺ لأمته في الآخرة^(٣)، يقول ابن عمر رضي الله
عنهما: " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون
أي فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله تبارك وتعالى المقام المحمود "^(٤).

٢- قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾^(٥)، حيث اختلف
أهل العلم في الذي وعده ربه من العطاء ، فقال ابن عباس رضي الله
عنهما: هو ما وعده ربه من ألف قصر في الجنة من اللؤلؤ، وقيل: هو

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٧٩.

(٢) راجع هذه الأقوال في: تفسير القرطبي ٣٠٩/١٠، تفسير النسفي ٢٧٣/٢.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ص ٤٤١، تفسير مقاتل بن سليمان ٥٤٦/٢، جامع البيان
في تأويل القرآن ١٦٨/١٤، تفسير القرآن العظيم ١٢١/٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب عسان يبعثك بمقام محمود، حديث
رقم ٤٤٤١، ١٧٤٨/٤.

(٥) سورة الضحى الآية رقم ٥.

من رضا محمد ﷺ من أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار^(١)، وقال قتادة: هي الجنة، وقال عليوا بن عباس وعطاء والحسن: إنها الشفاعة^(٢)، وقيل: الحوض والشفاعة حتى ترضى^(٣)، وقيل: يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين، والثاني: يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة^(٤).

فعلم مما سبق أن أحد الوجوه الصحيحة – بل والغالبة- في تأويل الآية أن المراد بما يعطيه ربه حتى يرضى شفاعته ﷺ لأتمته يوم القيامة. ويحسن هنا إيراد الخلاف في إثبات الشفاعة بإيجاز مبتدئاً بمن نفاها، حتى يمكن بيان أنواعها عند المثبتين لها، وذلك فيما يلي:

المذهب الأول:

ذهب الجهمية^(٥) إلى أن الشفاعة لا تثبت في الآخرة مطلقاً، لا لأهل الكبار، ولا لأهل الصغائر، ولا لزيادة الدرجات. واستدلوا على ذلك بالآيات التي تنفي وقوع الشفاعة يوم القيامة، من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٦)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٧)، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا

(١) ينظر: جامع البيان ٤٨٧/٢٤، تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٤٣/١٠، تفسير القرآن العظيم ٤١٢/٨.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٤٣/١٠، تفسير القرآن العظيم ٤١٢/٨، تفسير البغوي ٢٦٧/٥، الكشف والبيان للثعلبي ٢٢٤/١٠.

(٣) ينظر: بحر العلوم ٥٩٢/٣، تفسير السمعاني ٢٤٤/٦.

(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٢٩٣/٦، تفسير القرآن العظيم ٤١٢/٨.

(٥) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥٣/٤، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للمنطبي ص ١٣٤، إثبات الشفاعة للذهبي ص ١٩، شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن بن ناصر البراك ص ١٥٧، التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ٥٢٩/٢.

(٦) سورة المدثر الآية رقم ٤٨.

(٧) سورة البقرة الآية ٤٨.

هُمْ يُنصَرُونَ»^(١).

فهذه الآيات نفت وقوع الشفاعة، والنفي كان مطلقاً، فيعم كل شفاعة، ولا يثبت شيء منها حسب زعمهم. وقولهم هذا مردود بما سبق من آيات إثبات الشفاعة للنبي ﷺ، وما ثبت في الأحاديث الصحيحة التي تثبت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره وللعمل الصالح، والتي سوف أورد بعضها منها في أدلة أهل السنة والجماعة، وأن الشفاعة التي أبطلها الله تعالى في الآيات التي استدلوا بها إنما هي الشفاعة للكفار^(٢)، على نحو ما ذكرت في تفسيرها السابق.

المذهب الثاني:

ذهب المعتزلة والخوارج^(٣) إلى عدم ثبوت الشفاعة لمحو الذنوب، وأثبتوا الشفاعة لزيادة الثواب ورفع الدرجة.

واستدلوا على ذلك بالأدلة السابقة للجهمية من آيات نفي الشفاعة، ولكنهم أدخلوا فيها مرتكبي الذنوب من المسلمين، إذ لا شفاعة لهم فيها، وأضافوا إلى ذلك الاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٤)، حيث نفت هذه الآية ثبوت الشفاعة لمن يظلم، والظلم يقع من المسلم وغيره، فكانت الشفاعة منفية عنه وغير ثابتة له^(٥).

وقولهم هذا مردود بالأدلة التي تثبت الشفاعة للمذنبين، وهي أدلة صحيحة ثبتت في القرآن والسنة، بل إن الشفاعة في أغلبها لا تكون إلا لمرتكب الذنب، وكل ابن آدم خطاء، ويوم القيامة هو في حاجة إلى حط الخطيئة ورفع الدرجة، يضاف إلى ذلك أن معنى الآية أنه لا شفاعة

(١) سورة البقرة الآية ١٢٣.

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥٣/٤.

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨، الإيمان لابن تيمية ص ٢٧٨، تمهيد الأوانل في تلخيص الدلائل للباقلاني ص ٤١٩، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥٣/٤، الاعتصام للشاطبي ٣/٣٠٤، التبصير في الدين للإسفراييني ص ٦٦، الانتصار في الرد على المعتزلة للعمرائي ص ١٦١.

(٤) سورة غافر من الآية ١٨.

(٥) ينظر: العواصم والقواصم لابن الوزير ١٢/٤، لوامع الأنوار البهية لأبي العون الحنبلي ٢/٢١٧.

للمظالمين بالكفر والشركالذين لاطاعة معهم^(١)، فالشرك هو الظلم الأعظم الذي لا ظلم بعده، أما غيره فهو محل للعفو والغفران بإذن الله تعالى.

المذهب الثالث:

ذهب أهل السنة والجماعة^(٢) إلى إثبات الشفاعة الأخروية بكل صورها، وإثباتها للمذنب والمحسن، ولا تكون إلا بإذن من الله تعالى، وأن المنفي في القرآن من الشفاعة إنما هو الشفاعة الشركية التي يظن بها الكفار أن الشافع لهم من الآلهة في الآخرة شركاء مع الله تعالى، والشفاعة التي أثبتها الله - سبحانه - قيدها بقيدتين، إذنه للشافع أن يشفع، ورضاه عما أذن للشافع أن يشفع فيه^(٣).

وقال المثبتون للشفاعة: إنها تقع في صور عدة أبينها باختصار فيما يلي:

١- الشفاعة العظمى، وهي الخاصة بالنبي ﷺ وحده^(٤)، وهي المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه ﷺ، وتقع هذه الشفاعة عندما يلحق الناس الغم والكرب وما لا يطيقونه من أهوال يوم القيامة، فيقول بعضهم

(١) ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني ص ٤٢٤، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٧٠٣/٣، العواصم والقواصم ١٢/٤.

(٢) ينظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٥٣/٤، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٨٣١/٢، اعتقاد أئمة الحديث للجرجاني ص ٦٨، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني ص ٤١٦، أصول الدين للغزنوي ص ٢٣٦، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٢٩، إثبات الشفاعة للذهبي ص ٢٠ وما بعدها، ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣، القول المفيد على كتاب التوحيد ٣٣٢/١ وما بعدها، شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن البراك ص ١٥٥، التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٩/٢.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد وقررة عين الموحدين للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٩٧، مصباح الظلام للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ ٣١٤/٢.

(٤) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٠٠، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني ص ٤١٦، أصول الدين للغزنوي ص ٢٣٦، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٢٩، إثبات الشفاعة للذهبي ص ٢٠.

لبعض: اطلبوا من يشفع لنا عند الله، حتى ينتهي الأمر بذهابهم إلى النبي ﷺ، وتفصيل هذا النوع فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟، يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم -عليه السلام- فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟، فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، فيقول: إن ربي -عز وجل- قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أوامر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما

نحن فيه؟، فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، فأنتطق، فأتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي -عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمّتي يا رب، أمّتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمّتك من لا نجاسة عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبُصرى" (١).

٢- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها، لأنهم إذا عبروا الصراط، ووصلوا إليها وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع لهم النبي ﷺ (٢)، وقد ثبت ذلك فيما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا" (٣).

٣- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب ليخفف الله عنه عذاب الآخرة بعد موته على الشرك، ففي الحديث الصحيح الذي رواه العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؟، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟، قال: "نعم، هو في ضحضاح (٤) من نار،

(١) متفق عليه ولفظه للبخاري أخرجه في كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا، حديث رقم ٤٤٣٥، ج ٤/١٧٤٥ وما بعدها، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم ١٩٤، ج ١/١٨٤.

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٠١، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٢، شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن البراك ص ١٥٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، حديث رقم ١٩٦، ج ١/١٨٨.

(٤) وهو القليل من الماء الذي لا غمق فيه.

ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" (١)، فبان من ذلك أنه شفع له ﷺ ليخفف الله عنه العذاب، فقبل الله شفاعته فيه.

٤- الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، والشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهي نوع شفاعة خاصة بأمته ﷺ (٢)، وثبت ذلك في أكثر من حديث، منها ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لكل نبي يوم القيامة منبرا من نور، وإني لعلي أطولها وأنورها، فيجيء مناد، فينادي أين النبي الأمي؟، قال: فيقول الأنبياء: كلنا نبي أمي، فألى أيننا أرسل؟، فيرجع الثانية، فيقول: أين النبي الأمي العربي؟، قال: فينزل محمد ﷺ حتى يأتي باب الجنة، فيقرعه، فيقول: من؟، فيقول: محمد أو أحمد، فيقال: أوقد أرسل إليه؟، فيقول: نعم، فيفتح له فيدخل، فيتجلى له الرب، ولا يتجلى لنبي قبله، فيخر الله ساجدا، ويحمده بمحامد لم يحمده أحد ممن كان قبله، ولن يحمده أحد بها ممن كان بعده، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك، تكلم تسمع، واشفع تُشَفَّع، وسل تعطه، فيقول: يا رب أمتي، أمتي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة، ثم يرجع الثانية، فيخر الله ساجدا، ويحمده بمحامد لم يحمده أحد كان قبله، ولن يحمده بها أحد ممن كان بعده، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك، تكلم تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فيقال: له أخرج من كان في قلبه مثقال بُرَّة، ثم يرجع الثالثة، فيخر الله ساجدا، ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبله، ولن يحمده أحد ممن كان بعده، فيقال له: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال خردلة، ثم يرجع فيخر ساجدا، ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد ممن كان قبله، ولن يحمده بها أحد ممن كان بعده، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك، تكلم تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فيقول: يا رب، من قال لا إله إلا الله؟،

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٧٥/٣.
(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، حديث رقم ٢٠٩، ج ١/١٩٤.
(٢) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٠١، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٢، شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن البراك ص ١٥٦، التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية ٥٣٢/٢.

فيقال له: يا محمد لست هناك، تلك لي وأنا اليوم أجزي بها^(١).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟!، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق، قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعون خريفاً^(٢).

٥- شفاعته ﷺ وشفاعة الطائعين ممن يرضاهم الله -تعالى- لأهل الكبائر في الخروج من النار^(٣)، وقد ثبت هذا النوع من الشفاعة بأدلة

(١) أخرجه ابن حبان في باب ذكر الإخبار بأن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع ﷺ في أمته، حديث رقم ٦٤٨٠، صحيح ابن حبان ٤٠٠/١٤، وأخرجه البيهقي عن أبي سعيد الخدري، السنن الكبرى ٩١/١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم ١٩٤، ج ١٨٧/١.

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم ٨٣١/٢، العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٠١، إثبات الشفاعة للذهبي ص ٢١، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠١/١، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٢، التبصير في الدين ص ١٧٤، الاعتقاد لابن أبي يعلى ص ٣٤، التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية ٥٣٢/٢.

كثيرة من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، ويكفي منها ما رواه جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي"^(١).

٦- الشفاعة لرفع درجة أقوام وزيادة نعيمهم^(٢)، حيث يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لأقوام، فيرفع الله درجاتهم في الجنة، ويزيد من نعيمهم، ومن ذلك مثلا دعاؤه لأبي سلمة رضي الله عنه، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"، فضج ناس من أهله، فقال: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون"، ثم قال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه"^(٣).

٧- شفاعة الأعمال الصالحة، حيث تشفع بعض الأعمال الصالحة لأصحابها يوم القيامة، كالقرآن، والصيام، والصدقات، وغيرها من الأعمال المقبولة عند الله تعالى، فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان"^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والورع والرقائق، باب الشفاعة، حديث رقم ٢٤٣٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، سنن الترمذي ٦٢٥/٤، وابن حبان في باب ذكر البيان بأن الشفاعة في القيامة إنما تكون لأهل الكبائر من هذه الأمة، حديث رقم ٦٤٦٧، الصحيح ٣٨٦/١٤، وأخرجه الحاكم في حديث رقم ٢٢٨، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرک ١٣٩/١، وأخرجه أبو داود عن أنس بن مالك في كتاب السنة، باب في الشفاعة، حديث رقم ٤٧٣٩، سنن أبي داود ٢٣٦/٤.

(٢) ينظر: إثبات الشفاعة للذهبي ص ٢٢، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٢، القول المفيد على كتاب التوحيد ٣٣٤/١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا خُصِر، حديث رقم ٩٢٠، ج ٦٣٤/٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ٦٦٢٦، المسند ١٧٤/٢، وأخرجه الحاكم في حديث رقم ٢٠٣٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

وقد استند المثبتون للشفاعة بأدلة أخرى كثيرة، وقد اكتفيت بهذا القدر بيانا لما ورد عن الشفاعة الأخروية وصورها، وإثبات القرآن لها في الآيات التي سبق تفسيرها، ثم في كثير من الأحاديث على الوجه الذي بينت.

الشفاعة الدنيوية:

وقد عرف هذا النوع من الشفاعة بتعريفات كثيرة حاولت جمع شتات صورته، ومنع دخول ما عداها، فعرفها القرطبي بأنها: إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع، وإيصال المنفعة إلى المشفوع له^(١).

ويؤخذ على هذا التعريف اهتم ببيان منزلة الشفيع عند المشفوع له، وأغفل جمع صورها فكان تعريفه مقتصرًا على إيصال منفعة بقطع النظر عن كون الإيصال بحق أو بغير حق، يضاف إلى ذلك أن الشفاعة فيه لا تكون إلا بنفع، مع أنها قد تكون لرفع الضرر أو منعه.

وعرفها ابن حجر بأنها: انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه^(٢).

وقريب منه تعريفها بأنها: الانضمام إلى آخر ناصر له، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة إلى من هو أدنى^(٣).

ويؤخذ على هذين التعريفين أنهما عامين، فالانضمام لا يلزم أن يكون على وجه شفاعة، بل قد يكون معونة أو كفالة أو غير ذلك.

وعرفها الزمخشري بقوله: الشفاعة الحسنة ما روعي بها حق مسلم، ودفع بها عنه شر، أو جلب إليه خير، وابتُغي بها وجه الله، ولم

يخرجاه، المستدرك ١/٧٤٠.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٧٨، ونقله عنه أبو حفص في اللباب في علوم الكتاب ٦/٥٣٢، وأبو زهرة في كتابه زهرة التفاسير ٤/١٧٨٤.

(٢) فتح الباري ١١/٤٣٣.

(٣) التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي ص ٣٢٤.

تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من الحدود التي لله، ولا في إسقاط حق من الحقوق، والسيئة ما كانت بخلاف ذلك^(١).

ويؤخذ على هذا التعريف أنه بيان لشروط الشفاعة بنوعها الحسنة والسيئة لا تعريفا لها، والتعريف لا ينصب على الشروط والصور والأنواع بل على بيان الماهية.

ومن هذه التعريفات ومن ضوابط الشفاعة الحسنة والسيئة يمكن القول بأن الشفاعة الدنيوية عبارة عن: طلب الشفيع الخير أو دفع الضرر لمن يشفع له بحق أو بغير حق.

وقد قصدت من ذلك التعريف بيان أمرين:

الأول: أن الشفاعة منها ما هو حسن أو بحق، ومنها ما هو سيء أو بغير حق.

الثاني: أن الشفاعة قد تكون في أمر إيجابي، وهو جلب النفع، وقد تكون في أمر سلبي، وهو دفع الضرر أو منع وقوعه.

ولو رجعنا إلى ثبوت هذا النوع من الشفاعة في القرآن والسنة لوجدنا أن القرآن لم يغفل الحديث عن الشفاعة الدنيوية بنوعها، الشفاعة الحسنة، والشفاعة السيئة، فقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الشفاعة في موضعين:

الأول: في سورة البقرة حيث ورد فيها ما يدل على وجود هذا النوع من الشفاعة بين الناس بطريق المفهوم لا المنطوق، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بِنِعْمِ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)، ففي هذه الآية أقر القرآن بوجود الشفاعة الدنيوية دون أن يبين حكمها، أو يفصل أنواعها ولو على سبيل الإجمال، وهو ما ذكره المفسرون، حيث يقول

(١) الكشاف للزمخشري ٥٤٣/١، ومثله في إرشاد العقل السليم ٢١٠/٢، وروح البيان للخلوتى ٢٤٩/٢، ونقله عنه القاسمي في محاسن التأويل ٢٤١/٣، وأبو زهرة في كتابه زهرة التفاسير ١٧٨٤/٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٤.

ابن جرير: " وأخبرهم أيضا يومئذ= مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم، والعمل بأبدانهم، وعدمهم النصرء من الخلان، والظهاء من الإخوان لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقراة والجوار والخلة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ" (١).

الثاني: في سورة النساء حيث يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (٢)، فكانت هذه الآية نسا في الشفاعة الدنيوية بنوعيتها، وقد تميزت بأنها ذكرتهما نسا، وجمعتهما معا. والشفاعة الدنيوية تتضمن نوعين، الشفاعة الحسنة، والشفاعة السيئة، وبيان كل منهما بإيجاز بما يلي:.

١- الشفاعة الحسنة:

وهي التي يشفع فيها الشفيع بحق، وفي الحق، لجلب نفع أو دفع ضرر أو منع وقوعه، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ (٣)، يقول القاسمي: "من يشفع شفاعة حسنة، أي: يتوسط في أمر فيترتب عليه خير من دفع ضرر، أو جلب نفع ابتغاء لوجه الله تعالى، يكن له نصيب منها، وهو ثواب الشفاعة، والتسبب إلى الخير الواقع بها" (٤)، ويقول الشيخ رشيد رضا: "ثم أقول: إن العلماء متفقون على أن شفاعة الناس بعضهم لبعض تدخل في عموم الآية، وأنها قسمان شفاعة حسنة وسيئة، فالحسنة: أن يشفع الشافع لإزالة ضرر، ورفع مظلمة عن مظلوم، أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها إليه ضرر ولا ضرار، والسيئة: أن يشفع في إسقاط حد، أو هضم حق، أو إعطائه لغير مستحقه، أو محاباة في عمل بما يجر على الخلل

(١) جامع البيان ٣٨٣/٥، وينظر كذلك: المحرر الوجيز ٣٣٩/١، تفسير المنار ٢٧٨/٧.

(٢) سورة النساء الآية ٨٥.

(٣) سورة النساء من الآية ٨٥.

(٤) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ١٤١٩/٥.

والزلل، والضابط العام أن الشفاعة الحسنة هي: ما كانت فيما استحسنته الشرع، والسينة: فيما كرهه وحرمه^(١).

ومن التأويل السابق للآية يمكن القول إن الشفاعة تكون حسنة متى كانت من الشفيع لغيره في أمر لا يقدر عليه بنفسه، وكانت في أمر جائز شرعا كما سيأتي في أمثلتها، ولم تكن نظير أجر أو في مقابل هدية، حيث قرر العلماء تحريم قبول الهدية أو الأجر في مقابل الشفاعة، ولو لم تكن مشترطة^(٢).

وقد اكتفى القرآن بذكر هذا النوع من الشفاعة وجزاء فاعله دون الإشارة إلى شيء من أحكامه، تاركا التفصيل للسنة النبوية التي تكفلت ببيان أمثلة حية عليه، وكذا فعل الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وسوف أورد هنا بعضا من أمثلتها بإيجاز.

- الشفاعة في العطاء، ومن ذلكما رواه ابن شفيع، وكان طبييًّا قال: دعاني أسيد بن حضير، فقطعت له عرق النساء، فحدثني بحديثين، قال: أتاني أهل بيتين من قومي، أهل بيت من بنى ظفر، وأهل بيت من بنى معاوية، فقالوا: كَلِّم النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لنا أو يعطينا، فكلمت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "نعم، أقسم لأهل كل بيت منهم شطراً، وإن عاد الله علينا عدنا عليهم"، قال: قلت: جزاك الله خيراً يا رسول الله، قال: "وأنتم فجزاكم الله خيراً، فإنكم ما علمتكم أعفة صبر"^(٣).

- الشفاعة في العقوبة إذا كانت من غير الحدود، ومن ذلك ما رواه وبر بن مشهر الحنفي قال: بعثني مسيلمة وابن شلغاف وابن النواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمنا عليه، فتقدماني في الكلام، وكانا أسن مني،

(١) تفسير المنار ٣٠٩/٥.

(٢) ينظر: سبل السلام للصنعاني ٤٢/٣.

(٣) أخرجه ابن حبان في باب ذكر فضل الصحابة والنابعين رضى الله عنهم، وذكر شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم للأنصار بالعفة والصبر، حديث رقم ٧٢٧٩، الصحيح ٢٦٨/١٦ والهيثمي في كتاب المناقب، باب فضل الأنصار، حديث رقم ٢٢٩٨، موارد الظمان ٥٧١/١.

فتشهدا، ثم قالوا: نشهد أنك نبي، وأن مسيلمة من بعدك، فقال رسول الله ﷺ: "ما تقول يا غلام؟"، قلت: أشهد بما شهدت به، وأكذب بما كذبت به، قال: "فإني أشهد عدد تراب الدنيا أن مسيلمة كذاب"، ثم قال: "خذوهما"، فأخذوا، وأمر بهما إلى بيت كيسان، فشفع فيهما رجل من أصحابه، فغلى عنهما^(١).

- الشفاعة في الدين وإسقاط جزء منه، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه: أنه تقاضى ابن أبي حردد ديناً كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سجد حجرتهم، ونادى كعب بن مالك، فقال: "يا كعب"، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار إليه بيده أن ضع الشطر من دينك، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: "قم فاقضه"^(٢)، ومنه أيضاً ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: حجج النبي ﷺ، عبد لبني بياضة، فأعطاه النبي ﷺ أجره، وكلم سيده فخفف عنه من ضربيته، ولو كان سحناً لم يعطه النبي ﷺ^(٣).

- الشفاعة في الحدود قبل رفعها للحاكم فإن بلغته، وجب عليه إقامة الحد، ومن ذلك ما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: شفع الزبير في سارق، فقيل: حتى يبلغ الإمام؟، فقال: "إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع"، كما قال رسول الله ﷺ^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في حديث رقم ١٨٢٦٣، المعجم الكبير ١٥٣/٢٢، وذكره الهيتمي في حديث رقم ٩٦٠٠، وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣١٥/٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أبواب المساجد، باب التقاضي والملازمة في المسجد ١٧٤/١ حديث رقم ٤٤٥، ومسلم في كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين، حديث رقم ١٥٥٨، ج ١١٩٢/٣.

(٣) متفق عليه ولفظه للبخاري أخرجه في كتاب الإجارة، باب من كلم موالي العبد أن يخففوا عنه من خراجه، حديث رقم ٢١٦١، ج ٧٩٧/٢، ومسلم في كتاب المساقاة، باب حل أجره الحجام، حديث رقم ٤١٢٥، ج ٣٩/٥.

(٤) أخرجه مالك في كتاب الحدود، باب ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان،

ففي الأحاديث السابقة شفع النبي ﷺ، وقبل الشفاعة في الحق، وشفع صحابته ﷺ في حضوره ﷺ، وبعد وفاته، فبان من ذلك تفسير الآية التي تقول من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها.

٢- الشفاعة السيئة:

وهي ما كانت بخلاف الشفاعة السابقة، وذلك بوقوعها في أمر محرم من ظلم أو غيره، سواء أكانت لجلب نفع أمدفع ضرر، وضابط هذا النوع من الشفاعة أن تكون فيما حرمه الإسلام، بأن يكون الهدف منها ظلم الغير، أو التعدي على حقه، أو أخذ شيء للمشفوع له بدون وجه حق، أو إعفائه من عقوبة حدية، وقد ورد هذا النوع من الشفاعة في القرآن الكريم بطريقتين:

الأول: وردت بصريح لفظ الشفاعة السيئة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾^(١)، حيث شنع الله -تعالى- على من يفعلها، بل وجعل من نصيبه كفلاً منها، ليتذوق من عاقبة فعله، ويصيبه سوء صنيعه، يقول القاسمي: "ومن يشفع شفاعة سيئة، وهي ما كانت بخلاف الحسنة بأن كانت في أمر غير مشروع يكن له كفل منها، أي نصيب من وزرها الذي ترتب على سعيه، مساوٍ لها في المقدار، من غير أن ينقص منه شيء"^(٢).

الثاني: وردت بطريق ضمني بحديث القرآن عن صورة من صورها المحرمة، وهي المجادلة عن بيطن الشر، ويختان نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ

حديث رقم ١٥٢٥، الموطأ ٨٣٥/٢ والدارقطني في كتاب الحدود والديات وغيره حديث رقم ٣٦٤، سنن الدارقطني ٢٠٥/٣، والهيتمي في حديث رقم ١٠٥٦٣، مجمع الزوائد ٣٩٦/٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه الحاكم، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف.

(١) سورة النساء من الآية ٨٥.

(٢) محاسن التأويل ١٤١٩/٥، ومثله في: روح البيان ٢٤٩/٢.

مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا *
هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا^(١).

حيث نهى الله - سبحانه وتعالى- في هذه الآيات عن المجادلة عن
يختانون أنفسهم، ويرمون الناس بالباطل، وهي صورة من صور
الشفاعة السيئة التي يشفع فيها الشخص لغيره بالمجادلة عنه، وعلى
الرغم من أن هذه الآية نزلت بسبب معين، وعاتب الله - عز وجل- فيها
النبي ﷺ عن المجادلة عن يختانون أنفسهم^(٢)، وكان ذلك من النبي ﷺ
بغير قصد عن الدفاع عن الباطل، وإنما حملاً للأمر على ظواهرها، إلا
أن حكمها عام لا خاص، حيث تصدق دلالتها على كل من يجادل عن
غيره؛ أو يدافع عنه، ليساعده في الظفر بغير حقه، أو يدفع عنه ضرراً
يستحقه، أو يلصقه بغيره.

وسبب نزول هذه الآيات ما رواه عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه
عن جده قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق، بشر، وبشير،
ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر، يهجو به أصحاب رسول
الله ﷺ، ينحله^(٣) بعض العرب، ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا
وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول
هذا الشعر إلا هذا الخبيث، وقالوا: ابن الأبيرق قالها، قال: وكانوا أهل
بيت حافة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم
بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار، فقدمت ضافطة^(٤)

(١) سورة النساء الآيات ١٠٧ : ١٠٩ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٢٦٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/٥،
تفسير القرآن العظيم ٣٥٨/٢، بحر العلوم ٣٣٦/١ .

(٣) أي ينسبه إليه .

ينظر: تاج العروس ٤٦٤/٣٠، لسان العرب ٦٤٩/١١ .

(٤) الضافط، والضفاط الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن .

ينظر: لسان العرب ٣٤٣/٧، تاج العروس ٤٥٤/١٩، تحفة الأحوزي
٣١٤/٨ .

من الشام من الدرمة^(١) ابتاع الرجل منها، فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضافطة من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمة، فجعله في مشربة^(٢) له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فُعدي عليه من تحت البيت، فنُقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا، فذهب بطعامنا وسلاحنا، قال: فتحسسنا في الدار، وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، قال: وكان بنو أبيرق قد قالوا، ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اختلط سيفه، وقال: أنا أسرق؟!، فوالله ليخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل، فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: سأمر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار، فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة بغير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: "عمدت إلى أهل بيت، ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة بغير ثبت ولا بينة؟"، قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟، فأخبرته بما قال لي رسول الله

(١) بفتح الدال المهملة والميم، هو الدقيق الحواري وهو الأبيض.
 ينظر: لسان العرب ٤٢٣/١٠، تاج العروس ١٤٦/٢٧، ١٠٤/١١، تحفة الأحوذى ٣١٤/٨.
 (٢) يعني الغرفة، وقيل: هي الخزانة. ينظر: لسان العرب ٤٨٧/١، تاج العروس ١١٧/٣.

ﷺ، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(١)، بني أبيرق ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾^(٢) أي مما قلت لفتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣) أي لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٤) قوله لبيد ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٥) فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح، فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخاً قد عسى، أو عشى في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيت به بالسلاح، قال: يا ابن أخي هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُسَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٦) فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رحله، فوضعت على رأسها، ثم خرجت به، فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان، ما كنت

(١) سورة النساء الآية ١٠٥.

(٢) سورة النساء الآية ١٠٦.

(٣) سورة النساء الآيات ١٠٦ : ١١٠.

(٤) سورة النساء الآيات ١١١، ١١٢.

(٥) سورة النساء الآية ١١٣.

(٦) سورة النساء الآيات ١١٥، ١١٦.

تأثيني بخير" (١).

فالشفاعة هنا لم تكن سوى نوع مخاصمة عنم اختان نفسه، وإذا كان العتاب للنبي ﷺ هنا رغم أنه دافع بحسب الظاهر من الأمر، فإن حكم الآية ينسحب على كل من يجادل عن شخص وهو يعرف أنه ظالم لغيره.

وقد جاءت السنة بصور عديدة للشفاعة السيئة تبين ما أجمل في القرآن الكريم وتكون تطبيقاً له، سواء أكانت الشفاعة جلب خيراً للغير بدون وجه حق، أو بدفع ضرر عنه هو عقوبة مستحقة عليه، ومن ذلك:

- الشفاعة في الحدود بعد ثبوتها، فمتى رفع الحد للإمام وجب عليه إقامته، فمن شفع في الحد بعد ثبوته عند الإمام فإنما يشفع بالباطل لكونه نوع ظلم يهدم المجتمع، فقدرت عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهتمت المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟، فكلّم رسول الله ﷺ فقال: "أنتشفع في حد من حدود الله؟"، ثم قام فخطب قال: "يا أيها الناس، إنما ضلّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها" (٢)، وإنما كان خطر الشفاعة في مثل هذا الأمر لأن ضياعه من أول أسباب هلاك المجتمع كما جاء في الحديث، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذا القسم (أي الحدود التي تثبت على فاعلها عند الإمام)

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، حديث رقم ٣٠٣٦، وقال: هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، سنن الترمذي ٢٤٤/٥، والحاكم في حديث رقم ٨١٦٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، المستدرک ٤٢٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم ٦٤٠٦، ج ٦/٢٤٩١ ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم ٦٤٠٦، ج ٣/١٣١٥.

يجب إقامته على الشريف، والوضيع، والضعيف، ولا يحل تعطيله لا بشفاعة، ولا بهدية، ولا بغيرهما، ولا تحل الشفاعة فيه، ومن عطله لذلك، وهو قادر على إقامته، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وهو ممن اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً^(١).

- الشفاعة في مقابل أجر، سواء أكان الأجر على سبيل الهدية أم على سبيل الرشوة، فإن كان على سبيل الهدية فهو حرام، لكونه أكلاً لأموال الناس بالباطل، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شفع لأخيه بشفاعة فأهدى له هدية عليها، فقبلها، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا"^(٢)، وعن مسروق قال: سألت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن السحت أهو الرشوة في الحكم؟، فقال ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، ولكن السحت أن يستشفع بك على إمام فتكلمه، فيهدي لك هدية، فتقبلها^(٤)، وإن كان على سبيل الرشوة كانت الحرمة أشد، لأن الرشوة في ذاتها حرام، فإن أضيف إليها كونها أجراً للشفاعة كانت الحرمة فيها أشد، فالراشي يبذل المال ليتوصل إلى الباطل^(٥)، والمرتشي يعينه على الباطل ويقبل الحرام ثمناً لتلك الإعانة.

- الشفاعة في إعانة الظالم على ظلمه، أو إضاعة حق الضعيف، لما في ذلك من توسيد الأمر غير أهله، وضياع الحق من صاحبه، وهو ما جاء التحذير الشديد منه في السنة النبوية، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال سبحان الله كتبت له عشرًا، ومن قالها عشر مرار كتب له مائة، ومن استغفر الله غفر له، ومن أعان على خصومة بظلم أو بغير علم لم يزل في سخط الله حتى يبرح، ومن حالت

(١) ينظر: السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الإجارة، باب في الهدية لقضاء الحاجة، حديث رقم ٣٥٤١، سنن أبي داود ٢٩١/٣، وأحمد في حديث رقم ٢٢٣٠٥، المسند ٢٦١/٥، والطبراني في حديث رقم ٧٨٥٣، المعجم الكبير ٢١١/٨.

(٣) سورة المائدة جزء من الآية ٤٤.

(٤) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٦٠٦/٢.

(٥) ينظر: سبل السلام ٥٩/٢.

شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، ومن مات وعليه دينار أو درهم قص من حسناته ليس عنده دينار ولا درهم" (١)، قال الطيبي: وإنما قال: فقد ضاد الله ؛ لأن حدود الله حماه ومن استباح حمى الله تعدى طوره ومن نازع الله تعالى فيما حما فقد ضاد الله (٢).

والإعانة على الخصومة بغير حق عقوبتها شديدة لما فيها من الوعيد الشديد يقول الشوكاني: قال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين ، ويقال: ما خاصم قطور عقوله ﷺ: "لم يزل في سخط الله" هذا نم شديد له شرطان: أحدهما أن تكون المخاصمة في باطل ، والثاني أن يعلم أنه باطل ، فإن اختل أحد الشرطين فلا وعيد، وفي الحديث دليل على أنه ينبغي للحاكم إدارأ مخاصما أومعينا على خصومة بتلك الصفة أن يزرجه ويردعه لينتهي عن غيه" (٣).

فتلك صور من الشفاعة السيئة جاءت بها السنة بيانا وتطبيقا لما جاء مجملا في القرآن الكريم من حديث عن الشفاعة، وبيان لأنواعها وأحكامها، وقد أوسعها العلماء شرحا وبيانا مما لا مجال لتفصيله هنا.

(١) أخرجه الطبراني في حديث رقم ٢٩٢١ ، المعجم الأوسط ٢٠١/٣ وأخرج مثله البيهقي في باب في أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل فيه إمطة الأذى عن الطريق، حديث رقم ١١١٥٧، شعب الإيمان ٥١٠/٧.

(٢) مرقاة المفاتيح للقاري ٢٣٦٧/٦.

(٣) نيل الأوطار ٣١٢/٨.

المبحث الخامس

أهداف الشفاعة في القرآن الكريم

منالعرض السابق لآيات الشفاعة في القرآن الكريم يمكن استنباط عدد من الأهداف التي جاءت الآيات للتنبيه عليها، سواء منها ما كان بطريق مباشر، أو ما كان بطريق غير مباشر، وذلك على النحو التالي:

١- ترسيخ أمر عقدي مهم، وهو إثبات الشفاعة في الآخرة، وأنها حق لا مرأى فيه، وهو ما جاء في آيات كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(١)، فقد أثبتت الآية الشفاعة للمؤمنين من حيث نفتها عن الكافرين، حيث بينت أنه لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم الشفاعة يوم يحشر الله المتقين إليه وفداً، ففي حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، لا يملك أحد من المجرمين الشفاعة لأحد^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤).

فهاتان الآيتان تثبتان أن الشفاعة في الآخرة حقيقة عقدية لا مرأى فيها، وأنها لا تثبت إلا لمن يأذن الله -تعالى- له من الملائكة، أو الرسل، أو غيرهم من الصالحين، وكونه يرضى بالشفاعة لناس بعينهم دليل على ثبوتها في الآخرة^(٥).

٢- إثبات أن الشفاعة في الآخرة لا تكون إلا بإذنه -سبحانه وتعالى-

-
- (١) سورة مريم الآية ٨٧.
 - (٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٤/٥، جامع البيان في تأويل القرآن ٢٥٥/١٨، الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٥٩٦/٧، تفسير البغوي ٢٥٢/٣.
 - (٣) سورة طه الآية ١٠٩.
 - (٤) سورة سبأ الآية ٢٣.
 - (٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤٢/٣، جامع البيان ٢٨٢/١٩، بحر العلوم ٤١٣/٢، البحر المحیط لأبي حيان ٢٩٩/٧ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم ٢٧٩/٥.

ورضاه، يقول عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(١)، ويقول: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٢)، ويقول: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾^(٣)، وقد هدفت هذه الآيات إلى بيان أن الشفاعة في الآخرة لا تكون إلا بإذن الله عز وجل ولمن يرضاه^(٤)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "شفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه، وإما لخوفه منه، فيحتاج إلى أن يقبل شفاعته، والله تعالى غني عن العالمين، وهو وحده سبحانه يدير العالمين، فما من شفيع إلا من بعد إذنه"^(٥).

٣- الإشارة إلى أن قبول الشفاعة في الآخرة هي محض تفضل من الله تعالى، وإحسان للشافع والمشفوع له، فلا أحد يملك مع الله شيئاً، يقول ابن القيم: "شفاعة الإنسان عند المخلوق مثله: هي سعى في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به ولو على كره منه فمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يأمر غيره أو يكرهه على الفعل إما بقوة وسلطان وإما بما يرغبه فلا بد أن يحصل للمشفوع إليه من الشافع إما رغبة ينتفع بها وإما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد والشافع لا يشفع عنده لحاجة الرباليه ولا لرهبته منه ولا لرغبته فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الأمر فإن أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا

(١) سورة طه الآية ١٠٩.

(٢) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٣) سورة النجم الآية ٢٦.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٧٩/٥، جامع البيان في تأويل القرآن ٢٨٢/١٩،

بحر العلوم ٤١٣/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢٩٩/٧ وما بعدها.

(٥) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم ٨٣٣/٢، وراجع في

المعنى نفسه: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٨ وما

بعدها، مجموعة التوحيد ١٢٣/١ وما بعدها.

غيرها إلا بمشيئة الله تعالى وخلقه فالرب سبحانه وتعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله منه من النفع بالنصر والمعونة وغير ذلك كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله منه : من رزق أو نصر أو غيره فكلك منهما محتاج إلى الآخر ، ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفة تبين له حقيقة التوحيد والشرك والفرق بين ما أثبتته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله^(١).

٤- الإشارة إلى أن الشفاعة الدنيوية ليست كلها على وجه واحد، وإنما هي مختلفة باختلاف نوعها، وأن الشفيع فيها يلقي جزاء ما صنع، فإن شفع شفاعة حسنة كان له نصيب منها، وإن شفع شفاعة سيئة كان له كفل منها، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾^(٣)، وقد سبق بيان تفسير هذه الآيات، وأن الشفاعة عن أهل السوء أو لهم في غير حق أمر منهى عنه.

(١) ينظر: إغاثة الלהفان من مكائد الشيطان لابن القيم ٢٤١/١.

(٢) سورة النساء الآية ٨٥.

(٣) سورة النساء الآية ١٠٧.

الخاتمة: وبها نتائج البحث.

بعد البحث في معاني الشفاعة وتفسير آياتها في الكتاب الكريم، وما ذكره الأئمة الأعلام بشأنها أخلص إلى النتائج التالية:

١- أن الشفاعة بصفة عامة عبارة عن: طلب حدوث الخير، أو طلب دفع الضرر من الشفيع إلى المشفوع عنده لمصلحة المشفوع له.

٢- تعددت ألفاظ الشفاعة في القرآن الكريم، وتتنوعت مواردها، حيث جاءت بألفاظ وصيغ مختلفة، فوردت بلفظ الشفاعة نفسه، منكرًا تارة، ومعرفة تارة أخرى في بلاغة قرآنية رائعة في كل موضع من هذه المواضع، كما وردت بلفظ الفعل المضارع، ولفظ الشفيع والشفعاء، وكانت في إيرادها تهدف إلى الإشارة إلى أمر معين ليرسخ في الأذهان حسب كل موضع وردت فيه.

٣- تعددت موارد الشفاعة في القرآن، وغلب عليها التذكير بالشفاعة في الآخرة لأمرين، الأول: أن الآخرة هي الأولى بالاهتمام والتذكير، خاصة مع ارتباط موضوع الشفاعة مع عقيدة كفار قريش وغيرهم من المشركين، وأن الآلهة ستشفع لهم، فجاء القرآن نافيا لمعتقدم هذا، مع ورود معظم آيات الشفاعة الأخروية في السور المكية، والثاني: أن الشفاعة الدنيوية لا تحتاج كثير ذكر، لكونها إما حسنة فيؤجر صاحبها، أو سيئة فيكون له كفل منها، فالتكرار فيها يخل بالمعنى.

٤- أن القرآن يهدف من خلال ذكره لآيات الشفاعة إلى ترسيخها كموضوع عقدي له أهميته البالغة من ناحية، وإثبات أن الشفاعة لا تكون إلا برضا من الله تعالى وإذن لمن يرضاه من عباده، وليس لأحد معه إرادة في ذلك.

٥- إن موضوع الشفاعة الأخروية إذا كان قد أشبع بحثًا في كتب العقيدة فإن موضوع الشفاعة الدنيوية لا يزال يحتاج عددا من البحوث التي تنبه على هذا الموضوع المهم، وتبين فوائد وحسنات الشفاعة الحسنة، ومحاذير وخطورة الشفاعة السيئة وما يترتب عليها من آثار جسام.

المراجع

١	القرآن الكريم
٢	إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان بالأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٣	إثبات الشفاعة لشمس الدين الذهبي، دار أضواء السلف بالرياض، بتحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٤	أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٥	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦	أصول الدين لجمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداغوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٧	الاعتصام لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشقير، وآخران، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٨	اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٩	إغاثة اللفهان من مكائد الشيطان لشمس الدين بن القيم، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.
١٠	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، طبعة مكتبة الرشد بالرياض.
١١	الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٣	الإيمان للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٤	بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، طبعة دار الفكر بيروت.
١٥	البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان التوحيدي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت سنة ١٤٢٠هـ.
١٦	بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم للدكتور موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار بالأردن، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٧	بيان المعاني لعبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقى بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.
١٨	تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محب الدين مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية، بدون تاريخ.
١٩	التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني، دار عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٠	تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي لأبي العلام محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١	التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢٢	التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢٣	تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يوسف بن علي التستري، تحقيق: محمد باسليو نالسود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٤	تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، طبعة دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٢٥	تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروز بالس معاني التميمي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن بالرياض،

	الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
٢٦	تفسير الشافعي، جمع وتحقيق: الدكتور أحمد بن مصطفى الفران، دار التدمرية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
٢٧	تفسير القرآن لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: سعد محمد السعد، دار المآثر بالمدينة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٢٨	تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ.
٢٩	تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠	تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن أبي حاتم، لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.
٣١	تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تحقيق: الدكتور محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث بمصر الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.
٣٢	تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
٣٣	تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن القاسم الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٣٤	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.
٣٥	التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار ابن الجوزي بالدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
٣٦	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٧	ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبعة دار الوطن بالرياض.
٣٨	جامع البيان في تأويلالقرآنلأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٣٩	جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
٤٠	الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، دار الشعب بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.
٤١	دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بدون ناشر.

٤٢	ديوان النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٤٣	روح البيان للمولى أبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، طبعة دار الفكر بيروت.
٤٤	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي بالقاهرة.
٤٥	زاد المـــــسير فـــــي التفـــــسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٦	زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة.
٤٧	سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الصنعائي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٤٨	سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، طبعة دار الفكر، بيروت.
٤٩	سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٠	سنن الدارقطني لشيخ الإسلام علي بن عمر الدارقطني، طبعة دار المعرفة، بيروت سنة ١٩٦٦م.
٥١	السنن الكبرى لأبي الحسين أحمد بن الحسين بن علي بن موسى

	الخراساني البيهقي، طبعة مكتبة الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٥٢	السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، طبعة مكتبة ابن تيمية.
٥٣	شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٥٤	شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٥٥	شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دون ناشر.
٥٦	شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٥٧	الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٥٨	الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القشسيري، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٩	صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٦٠	الضوء المنير على التفسير، جمعه: علي الحمد الصالحي من كتب ابن القيم، طبعة مؤسسة النور للطباعة والتجليد، بدون تاريخ.
٦١	العقيدة الواسطية اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد

	الحليمين تيمية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، دار أضواء السلف بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٦٢	العواصم والقواصم فيالذبعن سنةأبيالقاسم لابنالوزير محمدبنإبراهيمبنعليبنالمرتضدبنالمفضلالحسنياالقاسمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٦٣	فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة بيروت سنة ١٣٧٩هـ.
٦٤	الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي علي أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، طبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ.
٦٥	فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق الدكتور: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٦٦	القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عثيمين، اعتنى بجمعه وترتيبه: الدكتور سليمان بن عبد الله أبو الخيل، والدكتور خالد بن علي المشيخ، طبعة دار العاصمة للنشر والتوزيع.
٦٧	كتاب التوحيد وقرة عين الموحدين فيتحقيقدعوة الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بنمحمدبنعبد الوهاب، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد بالطائف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٦٨	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، والدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٦٩	الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٧٠	اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٧١	لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الأفريقي، طبعة دار صادر بيروت.
٧٢	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية لأبي العيون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبته بدمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٧٣	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ.
٧٤	مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، طبعة دار البيان بدمشق، ومكتبة المؤيد بالطائف سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٧٥	محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، عني بأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، بدون ناشر.
٧٦	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٧٧	مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان سنة ١٩٨٦م.
٧٨	مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٧٩	المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
٨٠	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لنور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٨١	المستدرک علی الصحیحین لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٨٢	المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن عبد الله بن حنبل، طبعة مؤسسة قرطبة بمصر.
٨٣	مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آلحمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٨٤	معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ،

	١٩٩٩م.
٨٥	معاني القرآن، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: الدكتور عبدالجليل شلبي، دار عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٨٦	المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٨٧	مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٨٨	المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة بيروت.
٨٩	المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية في بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٩٠	المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، للدكتور محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٩١	موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٩٢	الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت سنة

	١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٩٣	موسوعة علوم القرآن، للدكتور عبد القادر منصور، دار القلم العربي بحلب سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٩٤	النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية بيروت.
٩٥	النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري الشهير بعز الدين الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة المكتبة الإسلامية بيروت.
٩٦	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٩٧	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ، طبعة جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، وهو في الأصل رسالة علمية لنيل الدكتوراه بها.